مفهوم الجمال عند الجاحظ

م. حنــان مجــيد علــي

جامعة بغداد – كلية التربية للبنات

Hanan.M@coeduw.uobaghdad.edu.iq

تاريخ الاستلام : ٢٠٢١/٤/٢٦

تـاريخ الـقبول : ٢٠٢١/٥/٣١

الملخـــص

كـان الجـاحظ فيلسـوفاً جماليـاً ومفهـوم الجمـال عنـد الجـاحظ يعتمـد علـى الموضوعية والتركيز على فكرة الاعتدال والتوسط ووضع فلسفة الادب الجمالي تحت عنـاوين الفصـاحة والبلاغـة والشـعر والخطابـة. وأشـار الـى ان الجمـال هـو مـا يكـون الجمال الطبيعي الذي نراه في الطبيعة والذي يتجلى لنا فيما خلق الله من حولنا من سماء وارض وبشر ونبات وشجر وهو الجمال الذي ابداعه الله وهناك جمال اخر من ابداع الانسان يتمثل فيما نسّميه الفنون الجميلة كالأدب والموسيقى والتصوير والنحت.

واشـار الجـاحظ الـى اللـذه الجماليـة والتقويم الجمـالي الـذي يكـون مـن خـلال تـذوق الجمال من خلال رؤية جمال طبيعة، شعر، موسيقى، ويكون من خلاله الشعور باللذه الجمالية عند التذوق الجمالية ردة فعله واضحاً جداً عند الانسان المتذوق.

الكلمات المفتاحية، النظرية، الجمالية، الجاحظ.

The conception of beauty according to Jahiz

Msc.Hanan Majeed Ali

University of Baghdad-college of education for girls

Abstract:

Al-Jahiz was an aesthetic philosopher, and the concept of beauty for Al-Jahiz depended on objectivity and focus on the idea of moderation and mediation and put the philosophy of aesthetic literature under the titles of eloquence, rhetoric, poetry and rhetoric. He pointed out that beauty is what is the natural beauty that you see in nature, which is manifested to us in what God created around us from heaven, earth, humans, plants and trees, and it is the beauty that God created. Aesthetic pleasure and aesthetic evaluation which is through a person's taste for the beauty of nature, poetry and music, and through which the feeling of pleasure is felt. When tasting the aesthetic, his reaction is clear to the person who tastes beauty.

Keywords: theory ,AL-jahiz ,beauty,

الجاحـظ:

هو عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الكناني البصري المكنى بابي عثمان، وكان ثمة نتوء واضح في حدقتيه فلقب بالحدقي ولكن اللقب الذي الصق به كثيراً وأشتهر به هو الجاحظ لجحوظ عينيه وتاريخ ولادته هو ١٦٠هـ أما وفاته كانت في البصرة سنة ٢٥٥هـ-٦٩م.

الجاحظ موسوعة علمية لان ثقافته اشتملت على العلوم المعروفة كافة في عصره فدرس المنطق والفلسفة والرياضيات والطبيعيات والاخلاق وكتب عن الادب والشعر وابدع فيها جميعاً. (١)

الجمـــال فـــي كتـــب الجاحـــظ:

لا نجد نظرية جمالية اصيلة الا عند الجاحظ، وربما ساعده على ذلك موهبته الأدبية وقد جمع الفلسفة والفن في نتاجه وطبق أصول نظريتيه في اثاره على نحو ممتاز يسترعي الانتباه، ويدفعنا الى التساؤل عما اذا كان الجاحظ استنبط أصوله الفنية من نتاجه أو صاغ نتاجه بعد أن وضع اصوله الفنية.

وإذا نظرنا إلى الكتب التي شرح فيها نظريته الجمالية مثل الحيوان والبيان والتبيين نجدها قد وضعت في أواخر حياته مما يحدونا بالقول انه استخرج أصوله الفنية من نتاجه.

وعندما حاول الجاحظ تحديد الجمال وجد صعوبة دفعته إلى القول "أن أمر الحسن أدق وأرق من أن يدركه كل من أبصره"(٢).

وكتابه البخلاء يستحق بجدارة ان يكون تحفة من تحف الادب العالمي عبر التاريخ وليس كتبه الاخرى قليله القدرة ولكن كتاب البخلاء استثناءاً عالمياً، ابدع الجاحظ في هذا الكتاب بطريقة مدهشة معنى المعايشة الجمالية وقيمتها في هذا الكتاب.

وهذا يعني أن ادراك الجمال لا يتم بوساطة البصر فقط وأنما يحتاج إلى أعمال الفعل والثقافة والرياضة والخبرة.

الجمال بنظر الجاحظ هو التمام والاعتدال او هو صفة الجسم التآم الأجزاء المعتدل التكوين: إن الأجزاء التي تدخل في تكوين الجسم ينبغي ان لا تتجاوز المقدار من حيث الحجم فلا تكون مفرطة الكبر أو الصغر. وبالنسبة للجسم البشري تكون الزيادة في طول القامة او سعة العين او الفم نقصاً في الجمال وان عدت زيادة في الجسم والاعتدال يعني التوازن والتناسب بين أعضاء الجسم، وبالنسبة للجسم البشري ينبغي أن يكون ثمة تناسب بين الرأس والجذع والأطراف، وبين العينين والاذنين والأنف والفم والذقن والجبين. فالظهر الطويل لا يتناسب مثلاً مع الفخذين القصيرين. وكذلك لا يتلاءم الظهر القصير مع الفخذين الطويلين وقل الشيء نفسه بالنسبة لسعة الفم والعينين بالقياس مع سعة الوجه وحجم الرأس.

ما هو المقياس الذي عظم أعضاء الجسم ونحكم عليها بأنها تامة معتدلة ومن ثم جميلة؟ يجيب الجاحظ ان ذلك المقياس هو الجسم المتوسط المعتدل التكوين فما أقترب منه عد جميلاً وأما ما ابتعد عنه عد قبيحاً.

ويطبق الجاحظ أصول الجمال هذه على الانسان فيقول ان الشخص الجميل هو الانسان المتناسق الاعضاء. والمتوسط مابين السمنة والنحافة ولابد فيها من جودة القد

وحسن الخرط واعتدال المنكبين واستواء الظهر ولابد من ان تكون كاسية العظام بين الممتلئة والنحيفة[٣].

ان الانسان الجميل هو الذي يكون معتدل الأعضاء لا تزيد أعضاؤه عن الحد في الضخامة، وتتناسب فيما بينها فيخلو جسمه من الفضول، ويكون بين الجسيم والممشوق ويعتدل منكبيه ويستوى ظهره ويحسن قده. وهذا التركيب يجعله يتثنى في مشيته فيستهوي القلوب ويغلب الابصار.

ونستطيع ان نوجز الأصول التي بنى عليها الجاحظ نظرته الى الجمال بما يأتي:

١. الجمال موضوعي أي قائم في الأشياء، وليس امراً ذاتياً.

٢. يدخل في تقويم الأشياء، من الناحية الجمالية، الحس والعقل معاً.

٣. للجمال مقاييس محددة يمكن استخراجها من الأشياء من ثم تطبق على الموضوعات التي نريد الحكم عليها[٤].

٤. لم يهتم الجاحظ بالناحية الروحية في الجمال واقتصر على الناحية المادية الجسمية فهو مثلاً لم يتلفت في كلامه عن جمال المرأة الى نفسيتها وأخلاقها وأنصب اهتمامه على صفاتها الجسمية.

٥. ان مفهوم الجاحظ للجمال يشبه مفهوم ارسطو فهو يقوم على فكرة الاعتدال او التوسط والتناسب[٥]. الى جانب هذا الجمال الطبيعي الذي ابدعه الله يوجد الجمال الفني الذي أبدعه الانسان والذي يتمثل في الفنون الجميلة من نحت وتصوير وموسيقى وأدب وغيرها. ولم يهتم الجاحظ من هذه الفنون الا بفن الادب فتكلم عن البلاغة والخطابة والشعر وطبق الى حد بعيد الأصول التي مر ذكرها للجمال.

البـــــلاغة:

والبلاغة هي أبلاغ المعنى الى السامع بوساطة الكلام. هذا الكلام ينبغي أن يكون فصيحاً أي واضحاً حسناً.

واللفظ الفصيح هو الذي يقع وسطاً بين السوقي والغريب فالقصد من ذلك أَن تتجنب السوقي والوحشي ولا تجعل همك تهذيب الألفاظ، وشغلك في التخلص الى غرائب المعنى وفي الاقتصاد بلاغ وفي التوسط مجانية وخروج عن سبيل من لا يحاسب نفسه(٦).

ان المقاييس الذي ينبغي اللجوء اليها لمعرفة توافر الفصاحة في الكلام هو القرآن ولغة الاعراب وأما كلام العامة وأهل الأمصار فليس حجة في الفصاحة. والجدير بالذكر هو ان الجاحظ لم يصل الى تعريف للبلاغة الا بعد استعراض المفاهيم المختلفة لها التي وجدها عند الفرس واليونان والهنود والعرب. أقاموا البلاغة على أصلين هما الايجاز والطبع والايجاز هو حذف ما فضل في الكلام والطبع هو مجانية التكلف والصنعة(٧).

لم يتبن الجاحظ الأصل الأول للبلاغة أي الإيجاز وانما أثر فيه المساواة أو تفضيل الالفاظ على اقدار المعاني. وذلك انسجاماً مع الفلسفة الوسطية التي نادى بها، وقد شرح مبدأه هذا قائلاً: "وانما وقع الهذي على كل شيء جاوز المقدار، ووقع اسم على كل شيء قصر عن المقدار، فالعي مذموم والخطل مذموم"(٨).

واذا أريد في الايجاز أن يعتمد شرطاً من شروط البلاغة وجب الا يكون مرادفاً للاختصار كما كان يفهم في عصره بل يجب ان يعني حذف ما فضل عن المقدار.

والمقدار هو كمية اللفظ اللازمة للتعبير عن المعاني بوضوح، ينبغي أذاً إن يحذف من الكلام ما لا يكون سبباً ولا يردد ويكتفي في الافهام شطره فما فضل عن المقدار فهو الخطل. وبناء على هذا لا تعد الاطالة خطلاً إذا جاءت في موضعها أي إذا كانت ضرورية لإيضاح المعنى وكذلك لا يعد الإيجاز عجزاً اذا كان في موضعه، أي إذا كان كافياً لايضاح المعنى[٩].

واذا كان الجاحظ يرفض الأصل الأول للبلاغة العربية أي الايجاز، فانه يتبنى الأصلي الثاني أي الطبع ويؤيده بقوة لأنه يتفق مع فلسفته الطبيعية فهو يعد الأدب وليد الطبع وليس صناعة متكفلة ويقول إن النثر أو الشعر الذي تعود به الطبيعة وتعطيه النفس سهواً رهواً مع قلة لفظه وعدد هجائه أحمد مراما وأحسن موقعاً في القلوب وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج لأن التقدم فيه وجمع النفس له وحصر الفكر عليه لا يكون إلا ممن يحب السمعة ويهوى الاستطالة[١٠].

اذاً الجاحظ وضع مقاييس واوزان خاصة للبلاغة العربية جعل منها منطلقاً لأظهار الجمال في الادب الفني من خلال تطبيق شروط الالتزام والتنسيق والتنظيم في الفنون الادبية لاظهار الصورة الجمالية.

والطبيعة تقتضي الواقعية او محاكاة الواقع بصدق دون تحوير او تزوير حتى نرى أن الجاحظ يذهب في ذلك أبعد مدى فيزعم أن الواقعية تقتضي ايراد الالفاظ كما وردت على السنة أصحابها من دون لحن فيها اذا كانوا من الفصحاء.

من دون فصاحة إذا كانوا من عامة البلديين كما أن الطبيعة تقتضي عدم الاسراف في التنقيح والتصفية لأن ذلك يؤدي الى التكلف وعسر الفهم ويقول في ذلك: "وليس له أَن يهذبه جداً وينقحه ويصفيه ويروقه حتى لا ينطلق إِلا باللب وباللفظ الذي قد

حذف فضوله[١١]، وأسقط زوائد حتى عاد خالصاً لا شوب فيه، فإنه أَن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يجدد لهم إفهاماً مراراً وتكراراً، لأن للناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم الا بان تعكس ويؤخذ منها[١٢]".

ونأتي الى فن من فنون النثر التي اظهرت معاييراً جمالية من تنظيم وتنسيق وسرد منظم وهذا بحد ذاته جمالاً فنياً وهي الخطابة.

الخطابـــة:

الخطابة طبع يولد مع بعض الناس ولا يكتسب اكتساباً وفي هذا لا يخرج الجاحظ عن عمود فلسفته الطبيعية، وهو يؤكد لنا مذهبه الفلسفي قائلاً: "وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام، وتكون له طبيعة في التجارة وليس له طبيعة في الفلاحة وتكون له طبيعة في الحداء أو في التعبير أو في القراءة بالألحان وليس له طبيعة في الغناء وان كانت هذه الأنواع كلها ترجع الى تأليف الألحان ويكون له طبع في صناعة الألحان ولأ يكون له طبع في غيرها، ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب ولا يكون له طبع في قرض بيت الشعر ومثل هذا كثيراً جداً[١٣].

وقد وضع الجاحظ شروطاً للخطيب الناجح طبق فيها المبادئ الفنية والجمالية في فلسفته الجمالية.

ويتحدث الجاحظ مطولاً عن سنن الخطابة فيرى في التمكن من اللغة أهم شرط في الخطيب الناجح، وهو يقول إن اللحن في الخطيب عيب لا يغطى وذنب لا يغتفر ومن آلة الخطابة في نظره جهارة الصوت وحدة النبرات ليتمكن الخطيب من إيصال كلامه الى مسامع الجمهور الغفير، وإذا كان صوته خافتاً ونبراته ضعيفة لم يستطع التأثير في مستمعيه.

ومن سنن الخطابة ايضاً قلة الإشارات والحركات عند الالقاء لان كثرة الحركات دليل على العجز يلجأ اليها الخطيب عندما يعوزه البيان وحجة اللسان فضلاً عن الى جمال هيأة الخطيب وسمو اخلاقه، فانهما شديدا التأثير في المستمعين وشتان بين خطيب ذميم المنظر منحط القيم المعنوية وبين اخر بهي الهيأة مرتفع المعنويات(١٤).

اما أصول الخطبة ذاتها صنيع فني فقد طبق فيها الجاحظ مبادئه الفنية والجمالية. والأصل الأول الذي ينبغي مراعاته دائماً هو ملاءمة الكلام لمقتضى الحال، أي حال المستعصمين ومستواهم الثقافي والاجتماعي وظروفهم النفسية والمعيشية.

والاصل الثاني هو التقيد بالموضوع وعدم الخروج عنه لان من شأن الخروج من الموضوع تشويش أفكار المستمعين ومن أصول الخطابة الابتعاد عن الألفاظ الغريبة لان الاكثار منها يجعل المعاني عسيرة الفهم ويحول دون تحقيق الخطبة الغاية التي القيت من أجلهاُ هي الاقناع والتأثير. أن ألفاظ الخطبة ينبغي أن تتصف بالفصاحة والجزالة والجمال لتسترق الأسماع وتهفو لها النفوس ومن سنن العرب بدء خطبهم بالبسملة والحمدلة والتصلية والخطبة التي تخرج عن هذه السنة تدعى بتراء(١٥).

اذاً هذه الاصول التي وضعها الجاحظ تجعل من الخطبة صناعة فنية طبق فيها شروط المبادئ الفنية والجمالية في العمل الادبي.

ومن سننهم ايضاً توشيح الخطب أية من القرآن الكريم والخطبة التي تخلو من القرآن تدعى الشوهاء.

وكذلك من عاداتهم ايراد شواهد حكمية وشعرية في خطبهم تأييداً للأفكار التي يريدون ابلاغها الى المستمعين واقناعهم بها. ولم يتوقف الجاحظ طويلاً أمام مسألة تصنيف الخطب كأرسطو وانما أشار أشارات عابرة الى أنواعها فقال ان من الخطب ما تكون

قصيرة وما تكون طويلة ومن أنواع الخطب خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة اصلاح ذات البين.

ويبدو إنه لم يكن مطلعاً على كتاب الخطابة. ومع ذلك نراه يقارن بين الموهبة الخطابية عند الأمم كالهنود واليونان والعرب فيجد العرب أخطب الأمم دون منازع لانهم أصحاب طبع قوي لم يكتسب بالتعلم والرياضة ولا يحتاج العربي الا الى توجيه وهمه الى الموضوع الذي يريد الكلام فيه حتى تتدفق عليه المعاني وتتآل عليه الالفاظ(١٦).

الشـــــعر:

التحديد الذي يعتمده الجاحظ للشعر هو " الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"(١٧).

فالجاحظ يؤكد على أن الشعر طبع أو موهبة حباها الله قلة من الناس. ولا يقوى على فرض الشعر من حرم هذا الطبع مهما بذل من جهد أو تلقى من علم أنه يعني بالصناعة الصياغة او فن تركيب الكلام وسكبه ومن هنا جاء تشبيهه للشعر بالنسيج، فكما أن الثوب يتألف من خيوط تصف طولاً وعرضاً لتشكل سداه، هكذا القصيدة هي مجموعة أبيات مؤلفة من وصف ألفاظ تشكل الصنيع الفني الرائع(١٨).

والشعر ضرب من التصوير، وفي هذا إشارة الى أهمية عنصر الخيال في الشعر. فالخيال يركب الصور ويخترعها اختراعاً. ولم يعط الجاحظ عنصر الفكر ما يستحقه من أهمية لأنه يعد المعاني مطروحة في الطريق يعرفها جميع الناس وكذلك أهمل عنصر العاطفة، وجعل الأهمية للوزن وسبك الألفاظ وصحة الطبع. وعلى أساس الطبع يصنف الجاحظ الشعراء، فمنهم الشعراء المطبوعون الذين يجودون بالشعر أو

تفيض به فرحتهم ولا يتكلفون فيه صنعه أو يهتمون بتصفية وتنقيح، ومنهم الشعراء المتكلفون الذين يعتنون بتنقيح شعرهم وإعادة النظر فيه لياتي أجود واصح. وتكلم الجاحظ عن نشأة الشعر العربي، فزعم إنه حديث الميلاد نشأ قبل الإسلام بنحو قرنين من الزمن، وقد تأخر ظهوره عن الفلسفة اليونانية التي تمثلت بكتب أفلاطون وأرسطو وغيرها(١٩).

وأشار الجاحظ الى ظاهرة أخرى في الشعر هي قضية نحل الشعر التي أثارت ضجة كبرى في العصر الحديث لقد عمد بعضهم إلى أشعار نسبوها إلى شعراء سبقوهم في الزمن ولذا يدعوا الجاحظ إلى عدم تصديق كل ما يروى لأن الكذب كثير والزور غالب(٢٠).

وتصدى الجاحظ لظاهرة ثالثة هي الشعر المولد وقيمة هذا الشعر بالنسبة للشعر القديم. وقال أن الفرق بين الصنفين يعود إلى أن الشعراء القدامى نظموا الشعر عفواً من دون تفكير وكد ذهن، بينما نظم المولدون الشعر وأدخلوا فيه الثقافة التي حصلوا عليها في بيئتهم المتحضرة عندما انتشر العلم وترجمت الكتب الأجنبية إلى العربية من علم وفلسفة وأصبح الشاعر مثقفاً ولم يعد امياً(٢١).

يبين الجاحظ أن الشعراء القدماء كان الشعر عندهم موهبة وارتجالاً ولكن الشعراء المحدثين ادخلوا التطور في شعرهم حيث الشعر لديهم يمر بمرحلة التنظيم والترتيب اما قديماً كان دون تنظيماً او ترتيباً.

ويعالج الجاحظ مسألة طريفة هي دور الوراثة في الشعر وينتهي بعد دراسة الشعر في عدة قبائل وعدة أقطار الى ان الوراثة والتربية والمناخ وطرق العيش لا علاقة لها بالشاعرية لان الشعر هبة من الله(٢٢).

وأشار الجاحظ الى مسألة الوراثة في الشعر وبين أن الشعر لا يورث ولا يعطى لأحد لأنه موهبة من الله.

ويتحدث الجاحظ اخيراً عن قيمة الشعر ومدى تأثيره، ويتساءل عما اذا كانت له غاية يطمح الى تحقيقها أو وظيفه يجتهد في الاضطلاع بها[٢٣].

فيلاحظ ان للشعر فائدة للممدوح

– إذا كان مدحاً لأنه يخلد ذكره وفائدة للشاعر فهو يظهر عبقريته ويعود عليه بالرزق وللشعر وظيفة ثانية هي التثقيف يفضل ما ينطوي عليه من أفكار ولكن الكتب المنشورة أعم نفعاً من هذه الناحية لأن النثر، أقدر على نقل المعارف من الشعر.

أما وظيفة الشعر الفنية تبدو في ايقاظ الشعور بالجمال لدى الناس ومن ثم كان للشعر ذلك الوقع الساحر في النفس، وقد عبر عنه "أن في البيان لسحراً".

ونظرية الجاحظ الجمالية. أنه ينظر إلى الجمال في الكون من تناسق النظام وتسيير الجبال وانبساط الأرض وترتيب البحار والمحيطات. وهذا الجمال هو الجمال الذي أبدعه الله.

ان الله سبحانه وتعالى خلق الكون وما فيه من سماء وأرض وانهار. وأكرم الانسان بالخلافة في الأرض وخلق الانسان في احسن تناسق.

ويبين الجاحظ أن الجمال مباح لكل المخلوقات عند ما خلق الله الكون والموجدات على أساس الجمال الإلهي. فان هذا الجمال هو للإنسان ليتمتع به وترتاح أليه النفس الإنسانية فتنشرح الصدور. هذا هو الجمال الطبيعي الذي نراه في الطبيعة والذي يتجلى في ما خلق الله من حولنا من سماء وأرض وبشر ونبات وهو الجمال الذي

أبدعه الله وهناك جمال أخراً من ابداع الانسان يتمثل فيما نسميه الفنون الجميلة كالآدب والموسيقي والتصوير والنحت[٢٤].

مفهـــوم الجمـــال عنـــد الجاحـــظ :

ويرى الجاحظ أن السبب الرئيس وراء طلب الجمال هو المتعة التي يحركها في النفس ولا فرق بين الجمال الطبيعي والجمال الصنعي يقول فيما كان جميلاً حسناً من الكلام "فإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن[٢٥]" ويضيف فائدة أخرى هي أن المتعة واللذة الجمالية تزداد وتنقص تبعاً لدرجة الجمال التي يحملها الموضوع وهذا حكم حد مستحسن لان ما يشدنا ويجذب انتباهنا، ويستوقفنا من خضم الكثرة الكاثرة من الموضوعات الجمالية[٢٦]

عندما يقف المرء متأملاً أمام منظر طبيعي خلاب مثل بضع شجيرات تشابكت أغصانها مظللة بينبوع ماء او يشاهد قوس قزح أو يسمع ضرب من الموسيقى يشعر الموسيقى تراقص روحه طرباً او تستمد نسيج انغامها من أحاسيسه أو يقرأ روايته بتروي الرؤوم شغف المشوق فلا يلبث أن يجد نفسه وكأنه أحد شخوص الرواية يفرح لفرحهم ويستاء لإستيائهم، وربما تأخذه النشوة حيناً فيهم بالتدخل وتغير الحدث ولكن لا مجال للتدخل[٢٧].

لذلك عندما حاول الجاحظ تحليل الجمال وما يتركه في نفس القارئ في بادئ الامر إلا أن يقف عند الأطر العامة لها من جهة ضرورة اتسام الموضوعات المعايشة بالجمالية وخلوها من التعقيد وما يعسر عملية المعايشة على العموم فإذا كانت كذلك كانت سريعة النفاذ الى القلوب واتحدت وتمازجت مع كينونة الإنسان ولذلك فإن مثل هذه الموضوعات هي التي تشتهر ويطالبها الطالبون ويستفيد منها المتعلمون وفي

ذلك يقول: "متى كان اللفظ كريماً في نفسه متخيراً في جنسه وكان سليماً من الفضول، بريئاً من التعقيد حبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت إليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع في الافاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة العلم الرئيس ورياضة للمتعلم الريض[٢٨]".

اذاً تذوق الجمال يؤثر في الانسان فيثير الجمال في نفس الانسان البهجة والسرور والرضى سواءً كان جمال طبيعة او جمال شعر أو جمال مقطوعة موسيقية فتحدث اللذة الجمالية في النفس البشرية.

وصف الجاحظ الأثار التي تظهر في اللذة الجمالية وجدانها تتجلى سروراً وغبطة وربما تتحول إلى رقص والرقص هو الحركات الإيقاعية المتناسبة مع النشوة، ويتخذ للدلالة على ذلك من الصوت انموذجاً يقول: (أمر الصوت عجيب وتصرفه في الوجوه أعجب فمن ذلك أَن منه ما يقتل كصوت الصاعقة ومنها ما يسر النفوس حتى يفرط عليها السرور فتعلق حتى ترقص[٢٩])

مثل الأغاني المطربة والقراءات الملحنة واستغلت الناس هذه السمة الملازمة للأصوات الموسيقية فصارت بالأصوات تنوم الصبيان والأطفال.

وأنّ القيم الجمالية متعددة ومتنوعة بتنوع الأفراد في تحسسهم للجمال فمنهم من يراه ذاتياً ومنهم من يراه موضوعياً ومنهم من يجمع بين الذاتية والموضوعية وإشكالية الجمال التي كانت محل اهتمام الفلاسفة القدامى- خاصة اليونانيين منهم- يجيب عنها الجاحظ إجابة يجمع فيها بين التوظيف الإستدلالي العقلي والنص النقلي وتحقيق المواءمة بينهما بما ينبئ أن القيم الجمالية تحتل الريادة بين القيم الأخرى لما لها من تعدد في المظاهر واتساع في الأفق ومقدرة على مغايرة القيم الاخرى[٣٠].

اذاً الذات التي تقوم بأطلاق الاحكام القيمية الجمالية على الموضوع لا تخلو مما يؤثر فيها لدى قيامها بهذه العملية، الاحكام الجمالية تكون ذات منزع ذاتي محض ان يستمد احكامه من الذات، والحكم الموضوعي يكون للشكل لحامل للخصائص الجمالية دوراً في اصدار الحكم الجمالي.

فالفعل الجمالي لا يرقى بمضمونه فحسب ولا بشكله فقط بل بشكله ومضمونه في آن واحد لأن الشكل والمضمون يتحولان إلى غاية جمالية تطلب في كل عمل جمالي مادياً كان أم قولياً. (٣١)

أنّ الجمال واقع في مجال الخير والحق ولا ينجم عنه الا النفع والسرور مادياً وروحياً. وقد يكون الجمال فكرياً متى ارتبط بالحق قيمة مثلى يطلبها بتزكية من قوى الخير الموجودة في الوجدان. فالوجدان غايته الجمال وهناك ثلاثة أنواع من الجمال، هي:

١- الجمال الجسماني وهو طبيعة القيم المادية التي ندركها وتكون مادة الفن مباشرة.

٢- الجمال العقلي وهو من طبيعة القيم التي يعمل فيها الفهم والعقل دون اهمال للمنطق الحسي الذي تنطلق منه.

٣- الجمال الأخلاقي من طبيعة القيم الروحية يدرك بالضمير (٣٢).

التقــويم الجمـــالي:

يتوافق التقويم الجمالي على نحو خاص مع طبيعة الجمال أو حقيقته وتمظهره في الشكل الذي يحمله هذا إلى جانب معطيات المعايشة الجمالية.

أن الجاحظ يذهب الى أن اطلاق الأحكام القيمية الجمالية على الموضوعات على اختلاف مراتبها وتباينها. أمر مرتبط بوثاقة مع مجموعة من المعايير يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- يستمد الموضوع قيمته الجمالية بالدرجة الأولى من الاعتدالية والتناسب في آن معاً الاعتدال بين زيادة ونقصان والتناسب بين أعضائه أو أجزائه، فكلما دنا من الاعتدال أكثر كان متسماً بقيمة جمالية أسمى وإذا حقق الحسن أو الجمال معادلة التوازن والاعتدال اتصف بالجمال[٣٣].

٢- أولى الجاحظ الشكل الحامل للخصائص الجمالية دوراً بارزاً في اظهار قيمة جمالية محددة على الموضوع وهذا يظهر في قوله "والتاج بهي، وهو على رأس الملك أبهى والياقوت كريم حسن، وهو على جيد المرأة الحسناء أحسن، والشعر الفاخر حسن وهو في فم الأعرابي أحسن"[٣٤].

٣- ذكر الجاحظ أَن الخلق المحمود والحديث المؤنق والثقافة دوراً واضحاً في مضاعفة الجمال.

٤- ان الذات التي تقوم بإطلاق الحكم القيمي الجمالي على الموضوع لا تخلو هي الأخرى مما يؤثر فيها لدى قيامها بهذه العملية والجاحظ لم يبين لنا ما هي هذه العوامل ولم يشر إليها، ولكنه كان في بعض أحكامه الجمالية ذا منزع ذاتي محض، بمعنى انه يستمد أحكامه القيمية مما تمليه عليه الذات وبغض النظر عما يتمتع به الموضوع من قيمة جمالية. [٣٥].

اذاً يتوافق التقويم الجمالي على نحو خاص مع طبيعة الجمال وحقيقته وظهوره في الشكل الذي يحمله، هذا الى جانب معطيات المعايشة الجمالية، بما يظهر الجمال في الخلق المحمود، في شعراً جميل، لوحة فنية، جمال طبيعة خلابة، هذه كلها تظهر فيها الصفات الحقيقية للجمال.

الأثر الجمالي:

على الرغم ما تنطوي عليه العلاقة بين الاثر الجمالي وجمهور المتلقين يصح على العلاقة بين الفنان والاثر الفني والجمالي من ناحية، عموم العلاقة وعلى الفنان واثره الفني على نحواً خاص، فأن العلاقة بين الفنان واثره الفني تتسم بسمات خاصة لا تكون عند اي متلقي مهما كانت صفته ذلك انها في البداية والنهاية علاقة المبدِع والمبدَع علاقة تبدأ منذ الومضة التي تنقدح في الذهن على نحو اشعاع مباغت باهراً قد يكون من المتعذر وصفه وهو ما يمثل ولادة الفكرة مروراً بمراحل نضجها ونمائها على النحوين الشعوري واللا شعوري وصولاً الى انسكابها في قالبها الفني الى ما بعد تحديدها ولذلك لا نستطيع الا الاقرار بأن المعايشة الجمالية بين الفنان واثره الفني انما هي معايشة نوعية لا نظير لها بين غير الفنانين.

لقد انتبه الجاحظ الى خصوصية المعايشة الجمالية بين المبدَع والمبدِع ولذلك لم يفته أن يقول فيها قولاً فهو في البداية يحذر الفنان من الانجراف في سبيل ذاته المتهالكة في الاعجاب بما تبدعه فتلك طبيعة خاصة في الفنانين عندما يقفون اما ما يبدعونه من آثار فنية وهي تكاد تكون طبيعية فيما يبدو من كلام الجاحظ لانها تشبه علاقة الاب بأبنه الذي هو بضع منه، وهذا ما يعبر عنه الفنانون عندما يسألون عن عملهم المفضل بقولهم: "كل أعمالي كأولادي لا فرق بينها عندي".

ولذلك يخاطب صاحب البيان الفنان بقوله: "فلا تثق في كلامك برأي نفسك، فأني ربما رأيت الرجل متماسكاً وفوق المتماسك حتى اذا صار الى رأيه في شعره وفي كلامه، وفي ابنه رأيته متهافتاً وفوق المتهافت"(٣٦).

اذاً لا يقف الجاحظ عند هذا التحذير بل يعلل ذلك بأعجاب الانسان بثمرة عقله ويقدم معياراً يحكم المبدع من خلاله على اثره ويتمثل هذا المعيار في كيفية تلقي الجمهور وخاصةً المختصون ومدى تقبلهم واستحسانهم له.

فالمعايشة الجمالية من الموضوعات المهمة والحساسة في علم الجمال وهو موضوع غني ومتنوع الجهات، ابرع من يتحدث فيه هو ابرع من ان يصنع المعايشة الجمالية الرائعة، ولقد كان الجاحظ من نوادر تاريخ الابداع الخالدة في قدرة على تقديم فن يمتلك احاسيس المتلقي ويفرض عليها التفاعل معه تفاعلاً مدهشاً وخاصة كتابه البخلاء وهو تحفة الادب العالمي فقد ابدع في هذا الكتاب بطريقة مدهشة فهو يدرك معنى المعايشة الجمالية وقيمتها ولكن سوء الحظ ان هذا المصطلح لم ينشأ الا متأخراً وان كان موضوع ميدانه قديماً ربما قدم الانسان أو على الاقل قدم الانتاج الفني ومع ذلك فأن ما جاء به الجاحظ في هذا الصعيد لا يمكن اغفال قيمته التاريخية[٣٧].

الخاتمة:

تفاعل الجاحظ مع هويته وثقافته العربية والاسلامية وبدأ ذلك واضحاً في فكره وادبه وفلسفته من خلال اثاره ومضامينها وعناوينها ولذلك من البداهة ان نقول ان فلسفته الجمالية وافكاره الجمالية نتاج هذا التفاعل بين هوية الجاحظ الشخصية وهويته المجتمعية.

لقد حلق الجاحظ في استقلاليته في فكرة الجمال الاخلاقي والنقدي ومجمل الموضوعات التي طرحها ذات بصمة اسلامية وعربية برزت بروزاً واضحاً في عدد من المواضيع ومنها تحديده مفهوم الجمال.

Conclusion:

Al-Jahiz's interaction with his Arab and Islamic identity and culture was evident in his thought, literature, and philosophy. The topics he raised, but the Islamic and Arab imprint emerged clearly in a number of topics, including their identification.

الهوامش:

---

(١) كامل عويضة، الجاحظ الشاعر الاديب الفيلسوف، بيروت، ص٥.

(٢) الجاحظ، رسالة القيان، تحقيق عبد السلام محمد هارون ضمن رسائل الجاحظ، القاهرة، ١٩٦٤، ص٨١.

(٣) الجاحظ، رسالة النساء ضمن اثار الجاحظ، تحقيق عمر أبو النصر، مطبعة النجوى، بيروت، ١٩٦٩، ص١١١.

٤علي ابو ملحم، في الجماليات نحو رؤية جديدة الى فلسفة الفن، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٣.

٥علي ابو ملحم، في الجماليات نحو رؤية جديدة الى فلسفة الفن، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٣.

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، دار الفكر للجميع، بيروت، ١٩٦٨، ص١٧٣.

٧ينظر الجاحظ، البيان والتبين، ج١، دار الفكر للجميع، بيروت، ١٩٦٨، ص١٣٨.

(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ص١٣٨.

(٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ص١٣٨.

(١٠) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٤، ص٩٥.

١١الجاحظ، الحيوان، الجزء الاول، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥، ص٨٩.

(١٢) الجاحظ، الحيوان، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٤٥، ص٩٠.

(١٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٧، ص١٤٤.

١٤الجاحظ، البيان والتبيين، ج٧، ص١٤٥.

١٥علي أبو ملحم، في الجماليات نحو رؤية جديدة الى فلسفة الفن، بيروت، ١٩٩٠، ص ٣٦.

(١٦) علي أبو ملحم، في الجماليات نحو رؤية جديدة الى فلسفة الفن، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٧.

(١٧) الجاحظ، الحيوان، ص١٣٢.

١٨الجاحظ، الحيوان، ص٧٣.

(١٩) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٧٤.

(٢٠) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص١٨١.

(٢١) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص١٣٠.

(٢٢) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص٣٨٠-٣٨٢.

(٢٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٤، ص١٠١-١٠٨.

(٢٤) رياض عوض، مقدمات في فلسفة الفن، ط١، لبنان، ١٩٩٤، ص٢٠٩.

(٢٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١١٦.

(٢٦) عزت السيد أحمد، فلسفة الفن والجمال عند الجاحظ، عمان، ٢٠١٧، ص٨٣.

(٢٧) مدخل معلوماتي الى علم الجمال، عزت السيد احمد، مجلة المعلومات، دمشق، العدد ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ص٣٣.

(٢٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٧، ص٢١٧.

(٢٩) الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص١٩١-١٩٢.

٣٠عبد الحميد حسين، الاصول الفنية في الادب، مصر، ١٩٦٤، ص١٨.

(٣١) عبدالحميد حسين، الاصول الفنية في الادب، مصر، ١٩٦٤، ص١٨.

(٣٢)عبدالحميد يونس، الاصول الفنية في الادب، مصر، ص٥١٢.

(٣٣) الجاحظ، التربيع والتدوير، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، ص٥٨.

(٣٤) الجاحظ، التربيع والتدوير، ص٦٣.

(٣٥) الجاحظ،البيان والتبيان، ج١، ص٢٦.

[٣٦]الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٧١.

[٣٧]عزت السيد احمد، فلسفة الفن والجمال عند الجاحظ، الناشر العالم العربي،عمان،١٩١٧،ص٩١-٩٢-٩٣.

المصـــادر والمراجـــع

١- الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق علي ابو ملحم، دار الفكر للجيمع، بيروت، ١٩٦٨.

٢- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥.

٣- الجاحظ، رسالة القيان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤.

٤- الجاحظ، رسالة النساء، تحقيق عمر ابو النصر، مطبعة النجوى، بيروت، ١٩٦٩.

٥- رياض عوض، مقدمات في فلسفة الفن، الطبعة الاولى، لبنان، ١٩٩٤.

٦- عبد الحميد حسين، الاصول الفنية في الادب، مصر، ١٩٦٤.

٧- عبد الحميد يونس، الاصول الفنية في الادب، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ١٩٦٤.

٨- عزت السيد احمد، فلسفة الفن والجمال عند الجاحظ، عمان، العالم العربي للنشر، ٢٠١٧.

٩- عزت السيد احمد، مدخل معلوماتي الى علم الجمال، مجلة المعلومات، دمشق، ع٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٩٦٣.

١٠- علي ابو ملحم، في الجماليات نحو رؤية جديدة الى فلسفة الفن، بيروت، ١٩٩٠.

Sources and references:

I. Al-Jahiz, The Risalat Al-Qayan, Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, al-Khanji Library, Cairo.

II. Al-Jahiz, The Women's Message, edited by Omar Abu Al-Nasr, Beirut, Al-Najwa Press, ١٩٦٩.

III. Al-Jahiz Al-Hayyun, achieved by Abd Al-Salam Haroun, Mustafa Al-Halabi Press, Cairo ١٩٤٥.

IV. Al-Jahiz Al-Bayan and Al-Tabeen An investigation by Ali Abu Melhem Beirut, Dar Al-Fikr for All, ١٩٦٨.

V. Ali Abu Melhem in Aesthetics towards a new vision for the philosophy of art, Beirut University Foundation ١٩٩٠.

VI. Riad Awad Introductions to the Philosophy of Art First Edition Lebanon ١٩٩٤.

VII. Al-Sayyid Ahmed attributed the philosophy of art and beauty to Al-Jahiz Amman Arab World for Publication ٢٠١٧.

VIII. Mr. Ahmed attributed an informational introduction to aesthetics, Information Magazine, Damascus, to the numbers ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ year ١٩٩٣.

IX. Abdel Hamid Hussein, Artistic Origins in Literature, Egypt ١٩٦٤.

X. Abdel Hamid Younes, Artistic Origins in Literature, Anglo-Egyptian Library, Egypt ١٩٦٤.